الفصل الثاني

فضائل الصحابة

من أثنى الله عليه ورضي الله عنه وأثنى الرسول عليه

ورضي عنه هل يحتاج بعد ذلك لقول بشر؟!

ذلك فضل الله اختصَّ به

أصحاب رسول الله ﷺ

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

الثمار المستطابة في فضائل الصحابة

هذا هو الإسلام واقعًا حيًا متحركًا يتلألأ في دنيا البشر، وتلك هي أروع صورة للإسلام في تاريخ الزمان وعلى مدار الليالي والأيام، من أراد أن يرى صورة العبودية الحقيقية لله، فلينظر في حياة هؤلاء الصحابة الكرام، والأئمة الأعلام، الذين اصطفاهم ربهم وأعز بهم الإسلام، أولئك الذين صابروا وصبروا حتى تمَّ أمر الدين واستقام.

وكم يندهش القلب، وينبهر العقل، ويرتاع الفؤاد عند النظر في سير هؤلاء الأكابر العظماء، هؤلاء الذين ملأت عزتهم وعظمتهم سمع الزمان، وعطرت أعمالهم الصالحة نسيم الأيام وطابت بهم الدنيا، وسعدت بقرباتهم أبواب السماء. إنه لم تعرف الأرض جباهًا سجدت عليها أتقى لله من جباه الصحابة، ولم تشهد الأرض عبادة لله وتضحية في سبيله كتضحية الصح ابة رضوان الله عليهم بعد الأنبياء والرسل.

لقد سهم التاريخ، واندهشت الأيام، وتعجب الزمان واهتزت الدنيا فرحًا وسرورًا بهذه الروعة والجلال، وهذا الصدق وهذا اليقين، وهذا البذل الذي لم تعرف له من قبل نظيرًا، ولقد سطر الصحابة الكرام في جبهة الزمن صفحات من نور تشهد بكل معاني النبل والوفاء، وتنطق بصدق العبودية والطاعة لله جل جلاله. فيا لهم من أطهار أبرار أوفياء خضعت لهم الدنيا كلها وأذلوا كسرى وقيصر، وسحقوا الكفر والظلم والجهل بعد أن تربوا على يد سيد الخلق رسول الله ﷺ فاقتبسوا عظمتهم من عظمته، وزكت نفوسهم، وطهرت قلوبهم بهذه التربية النبوية الحليمة الكريمة.

التفت هذه الثلة المباركة حول شمس النبوة تقتبس من نورها، وتتضوع من أخلاقها، وتنهل من معينها الثر المعطاء وترى حقائق الكون واضحة ناصعة فتعطي كل ذي حق حقه اللائق به، وتعيش الحياة كما يريدها الله.

حقًا أقول إن القلب ليمتلئ بالرهبة والوقار والإعزاز والإكبار عندما يطالع سيرة واحد من هؤلاء الصحابة الأخيار فكيف إذا اجتمعت أمام العين مناقبهم؟! وكيف إذا امتلأت القلوب والآذان بمآثرهم وفضائلهم؟! لقد ارتقوا ذروة من المجد شامخة، وتبوءوا قمة من العز سامقة، فلا يحيط بها مقال أو يصورها خيال. كيف لا وهم قد خرجوا من ديارهم وأموالهم طلبًا لرضا ربهم، ونصروا دين الله وآزروه بأرواحهم، وقدموها رخيصة في سبيل الله، وشهدت دماؤهم الزاكية بأن دينهم أثمن عندهم من نفوسهم. ووالله الذي لا إله غيره لو لم يرد في فضلهم آيات وأحاديث لكانت أعمالهم ناطقة بعظيم فضلهم شاهدة بعلو شأنهم على سائر البشر، وما كان ربك - جل جلاله - ليختار لخير رسله إلا خير العباد والأصحاب فرضي الله عنهم وأرضاهم، وإليك ذكر بعض فضائلهم لعلنا نقدِّرهم قدرهم، ونعرف لهم حقهم، ونقتفي آثارهم ونتبع سبيلهم.

١- رضي الله عنهم ووعدهم الجنة:

فإذا كان رب العالمين أخبر في كتابه المبين بأنه قد رضي عنهم فهل يلتفت بعد ذلك لقول قائل؟!

ومن أصدق من الله قيلًا؟! ومن أصدق من الله حديثًا؟!

ومن أوفى بعهده من الله؟! قال الله جل جلاله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أخبر الله العظيم أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان. فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصدِّيق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذًا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة. فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن؟

إذ يسبون من رضى الله عنهم! وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضى الله عنه، ويسبون من سبه الله ورسوله، ويوالون من يوالي الله ويعادون من يعادي الله، وهم متبعون لا مبتدعون، ويقتدون ولا يبتدون، وهؤلاء هم حزب الله المفلحون، وعباده المؤمنون(١).

وكذلك قال الله جل جلاله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وهذه هي بيعة الرضوان التي كانت بالحديبية وكان عدد المبايعين فيها ألف وأربعمائة من صحابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاَ يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ الله مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»(٢).

إنهم بايعوا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يفروا، بايعوه على الموت.

---

(1) «تفسير ابن كثير» [٤/ ٢١٨] ط. دار الحديث.

(2) رواه مسلم برقم [٥٥٧٤].

فلله درهم حين يبيعون أنفسهم لله!! لله درهم حين يرضى الله عنهم وينزل سكينته عليهم!! يا له من فضل عظيم وفوز كبير!!.

٢- شهد الله بصدقهم وأثنى عليهم به:

وهذه صورة أخرى وصفحة ثانية من مناقب هؤلاء الأكابر حين يشهد الله العليم الخبير بأنهم هم الصادقون.

وهو سبحانه العليم بالنوايا، الخبير بالخفايا يقول جل جلاله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨-٩].

فالمهاجرون صدقوا في إيمانهم وتركوا ديارهم وأموالهم إيثارًا لرضا ربهم، ونصرة لله ورسوله.

والأنصار صدقوا في إيمانهم فآثروا المهاجرين وأنفقوا من أموالهم رغم ما كان بهم من فقر وخصاصة ولكنه الإيمان الذي تجذر في القلوب وتأصَّل في النفوس، فللَّه دَرُّ هؤلاء الأخيار الأبرار من المهاجرين والأنصار!!

يقول سيد قطب - رحمه الله وعفا عنه -: وهي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة للمهاجرين، أخرجوا إخراجًا من ديارهم وأموالهم، أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد، والتنكُّر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة لا لذنب إلا أن يقولوا: ربنا الله.

وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، اعتمادهم على الله في فضله ورضوانه، لا ملجأ لهم سواه، ولا جناب لهم إلا في حماه. وهم مع أنهم مطاردون قليلون فهم ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ بقلوبهم وسيوفهم في أحرج الساعات وأضيق الأوقات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

الذين قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم، وصدقوها بعملهم، وكانوا صادقين مع الله في أنهم اختاروه، وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه، وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراها الناس(١).

وكذلك قال الله جل جلاله: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

فأثنى عليهم بالصدق والاستقامة عليه، ومن أصدق من الله حديثًا؟!

قال قتادة: أحق من صدقتم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه(٢).

٣- أثنى الله على أخلاقهم وأعمالهم وضرب بهم الأمثال:

قال ربنا سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ

(١) «الظلال» [٦/ ٣٥٢٦] - ط. دار الشروق.

(٢)«المسند» [٣/ ١٣٤].

﴿ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩].

وصف الله أخلاقهم وارتضاها منهم وأثنى عليهم بها، فهم أشداء على أعداء الله الكافرين ثم هم رحماء رفقاء بإخوانهم من المؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وصفهم بكثرة العمل، وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال، ووصفهم بالإخلاص فيها لله عَزَّ وَجَلَّ، والاحتساب عند الله جزيل الثواب وهي الجنة المشتملة فضل الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ [الفتح:٢٩]، يعني السمت الحسن. وقال مجاهد وغير واحد: الخشوع والتواضع. وقال بعضهم: إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس. وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان: ما أسر أحدٌ سريرة إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

قال: فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وصلحت أعمالهم، فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم. ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الفتح:٢٩]، أي: لذنوبهم ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩]، أي: ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا. ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل. وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحدٌ من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل[1].

---

(1) «تفسير القرآن العظيم» [٧/ ٣٦٤-٣٦٥] بتصرف واختصار يسير.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: وهذا مثل ضربه الله للنبي إذ خرج وحده فأيده بأصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما نبت منها حتى كثرت وغلظت واستحكمت(١).

٤- أمر الله رسوله بمجالستهم وشهد لهم بإخلاصهم:

يالها والله من منقبة حين ينزل الأمر الإلهي للحبيب النبي أن يجالس هؤلاء الأتقياء الأنقياء المخلصين الصادقين! من في الناس نال منقبة كهذه؟! من في العالمين شهد له ربه بالإخلاص كهؤلاء الأكابر؟!

قال الله العليم الخبير عزَّ من قائل سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

يقول شيخ المفسرين الإمام الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واصبر يا محمد نفسك مع أصحابك الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بذكرهم إياه بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء والأعمال الصالحة من الصلوات المفروضة وغيرها يريدون بفعلهم ذلك وجهه، لا يريدون عَرَضًا من عرض الدنيا»(٢).

وقال الله تعالى لرسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]. وفي هذه الآية أمرٌ من الله لرسوله بمجالسة هؤلاء المخلصين من صحابته الكرام فالمعنى: لا تبعد هؤلاء المتصفين بهذه الصفات عنك، بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك(٣).

---

(1) «التبصرة» لابن الجوزي [١/ ٣٨٥] - ط. دار الحديث.

(2) «تفسير الطبري» [٨/ ٢١٣] ط. دار الكتب العلمية.

(3) «المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير» [ص: ٤٢٢] ط. دار السلام.

٥- شهد الله بأنهم هم المفلحون ووعدهم بالفوز العظيم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

ومَن أحسن سبيلًا وأعظم فلاحًا من هؤلاء الصحابة الذين اصطفاهم ربهم لحمل رسالة الإسلام، والدفاع عن دين الله؟! وهم الذين نشر الله بهم دينه ونصر بهم رسوله، وما وصل إلينا هذا الدين إلا على بحار من دماء شهدائهم وعرق علمائهم الذين بذلوا في سبيل الله كل شيء.

قال أبو محمد ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ ۚ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾

[الأنبياء: ١٠١]

فثبت أن الجميع من أهل الجنة وأنه لا يدخل أحدٌ منهم النار لأنهم المخاطبون بالآية السابقة(١).

٦- اصطفاهم الله لصحبة رسوله ﷺ وكفى بذلك فضلاً:

إن ربنا العليم الحكيم الخبير هو الذي اختار واجتبى هؤلاء العظماء من بين سائر البشر ليكونوا هم وزراء نبيه والمدافعين عن دينه فهم المصطفون الأخيار الذين

(١) «الإصابة» [١/ ١٦٣].

اصطفاهم ربهم لصحبة نبيه المختار. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ اللهُ: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ﴾ [النمل: ٥٩].

«الذين اجتباهم لنبيه محمد ﷺ فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه. وذكر عن ابن عباس أنه قال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩]. قال: أصحاب محمد اصطفاهم الله لنبيه. وقال الثورى: هم أصحاب رسول الله ﷺ»[(١)].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيء[(٢)].

وقال أيضًا: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة، فأولئك أصحاب محمد ﷺ، أبرُّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قد اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم على الهدى المستقيم[(٣)].

---

(1) تفسير الإمام الطبري [١٠/ ٤] ط. دار الكتب العلمية.

(2) رواه أحمد [١/ ٣٧٩] وصححه أحمد شاكر.

(3) «جامع الأصول» [١/ ٨٠] وقد ورد مثله عن عمر بن الخطاب في الحلية [١/ ٣٠٥] ولكن قول ابن مسعود فيه انقطاع كما قال الألباني في «المشكاة» حديث رقم [١٩٣].

وقد ورد مثل هذا الكلام عن الحسن البصري بعد أن ذكر الصحابة - رضوان الله عليهم- قال: أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - لصحبة نبيه وإقامة دينه فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فإنهم كانوا وربِّ الكعبة على الهدى المستقيم(١).

فهؤلاء الصحابة هم أكمل الأمة إيمانًا وأعظمها يقينًا ويكفيهم شرفًا ونبلًا وعظمة أن يصطفيهم ربهم على الناس، وما كان الله تعالى ليصطفي إلا من كان أهلًا لذلك الاصطفاء والاختيار، ولا أحق ولا أجدر به من هؤلاء الأكابر الأفاضل رضي الله عنهم.

٧- أخبر الله أنه تاب عليهم وأنه بهم رءوف رحيم:

قال ربنا ذو العزة والجلال سبحانه: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧].

قال السعدي رحمه الله: «يخبر تعالى عن لطفه وإحسانه وأنه تاب على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار، فغفر لهم الزلات، ورقَّاهم إلى أعلى الدرجات، ووفر لهم الحسنات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الشاقة ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة:١١٧].

أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في وقعة تبوك، وكانت في حرٍ شديدٍ، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو مما يدعو إلى التخلف، فاستعانوا الله تعالى وقاموا بذلك»(٢).

---

(1) «الشريعة» للآجري [٢/ ٤١٤] وقال محققه: سنده حسن.

(2) «تيسير الكريم الرحمن» [ص:٣٥٤].

وقال قتادة: خرجوا إلى الشام عام تبوك في لهبان الحر على ما يعلم الله من الجهد، أصابهم فيها جهد شديد، حتى لقد ذكر لنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها، ثم يمصها هذا ثم يشرب عليها، فتاب الله عليهم وأقفلهم من غزوتهم[(١)].

٨- الصحابة هم خير الناس وأفضل الخلق بعد الرسل:

وهذه شهادة نبوية من الصادق المصدوق ﷺ لهؤلاء الصحب الكرام بأنهم خير الناس وخير القرون. قال رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**»[(٢)].

وروى مسلم في «صحيحه» أن رسول الله قال ﷺ: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم**» - والله أعلم أذكر الثالث أم لا - قال: «**ثم يخلف قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا**»[(٣)].

وهذا القرن هم جيل الصحابة الكرام الذي انتهى بموت أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه وقد أخبر النبي ﷺ بانخرام هذا القرن وانتهائه كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلى النبي ﷺ فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**»[(٤)].

---

(1) رواه ابن جرير في «التفسير».

(2) رواه البخاري برقم [٣٦٥١]، ومسلم برقم [٢٥٣٣].

(3) رواه مسلم برقم [٢٥٣٤].

(4) رواه البخاري برقم [٦٠١]، ومسلم برقم [٢٥٣٧].

وقال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: ذهب معظم العلماء إلى أن من صحب النبي ﷺ ورآه مرة من عمره وحصلت له مزية الصحبة أفضل من كل من يأتي بعده فإن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(١).

فالصحابة - رضوان الله عليهم - هم خير القرون، وفي «الصحيح» أن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدَّث بعد ما كفَّ بصره قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «**أنتم خير أهل الأرض**». وكنا ألفًا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»(٣).

وعفا عن حاطب بن أبي بلتعة لأنه من أهل بدر، ثم قال هذا الحديث السابق ولما جاء خادم لحاطب يشكوه إلى رسول الله ﷺ ويقول: ليدخلنَّ حاطبٌ النار فقال له رسول الله ﷺ: «**كذبت، لا يدخلها؛ فإنه شهد بدرًا والحديبية**»(٤).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: فيه فضيلة أهل بدر والحديبية وفضيلة حاطب لكونه منهم(٥).

٩- منهج الصحابة هو الأسلم والأقوم والأعلم والأحكم:

إنه لا وصول إلى جنة الله ورضوانه إلا باتباع هذا السبيل القويم الذي سلكه

---

(1) «شرح النووي» على مسلم [٢/ ١٤١].

(2) رواه البخاري برقم [٣٨٣٩].

(3) رواه البخاري برقم [٢٨٥١]، ومسلم برقم [٤٥٥٠].

(4) رواه مسلم رقم [٢٤٩٥].

(5) «شرح النووي» على مسلم [٨/ ٢٩٦] ط.دار الحديث.

رسول الله وصحابته الكرام فكل خير في اتباعهم، وكل شر في الإعراض عن هديهم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البَقَرَة:٢٣٧]، إن هذا هو المعيار السديد، والميزان الرشيد لفهم هذا الدين العظيم.

قال ابن كثير: فإن آمنوا يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به أيها المؤمنون من الإيمان بجميع كتب الله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: فقد أصابوا الحق وأرشدوا إليه ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أي: عن الحق إلى الباطل بعد قيام الحجة عليهم ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويظفرك بهم[(١)].

و قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النِّسَاء:١١٥].

قال السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومن يخالف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعانده فيما جاء به ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ بالدلائل القرآنية، والبراهين النبوية ويتبع غير ﴿سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ أي: نتركه وما اختار لنفسه ونخذله فلا نوفقه للخير لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلًا أن يبقيه في ضلاله حائرًا، ويزداد ضلالًا إلى ضلاله[(٢)].

---

(1) «المصباح المنير» في «تهذيب تفسير ابن كثير» [١١٠].

(2) «تيسير الكريم الرحمن» [ص:٢٠٢].

obeikandl.com

وبين النبي ﷺ أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ولا ينجو منها إلا من لازم ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فقال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة. والذي نفسي بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**» قيل: يا رسول الله، مَن هم؟ قال: «**الجماعة**»(١)، وفي لفظ: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(٢).

وبين النبي ﷺ أنه لابد من التمسك بهدى الصحابة وإذا اختلطت الأمور وانتشرت الفتن فإن سبيل النجاة لا يكون إلا بالتمسك بهذا الهدى العظيم القويم السليم قال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»(٣).

ومعلوم أن قول الصحابة مقدم على أي قول أحد؛ لأنهم هم الذين شهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وتلقوا أحكام الدين من النبع الصافي الذي لم تشبه ذرة كدر ألا وهو القرآن والسنة، وإجماع الصحابة حجة ملزمة لمن بعدهم، فالصحابة هم أفضل

---

(1) رواه أبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في «السلسلة» [١٤٩٢].

(2) رواه الترمذي برقم [٢٥٦٥]، وحسنه الألباني برقم [٢٦٤١] في «صحيح سنن الترمذي».

(3) رواه أبو داود برقم [٤٦٠٧]، والترمذي برقم [٢٦٧٦] وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم [٩٣٧].

أمة بعث فيها نبي وقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النساء:١١٥]، يعني غير سبيل الصحابة.

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان:١٥]، والصحابة بلا شك هم أعظم من أناب إلى الله تعالى بعد الأنبياء.

وتأمل في قول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [التوبة:١٠٠].

فتأمل هذه الآية حينما ذكر الله تعالى المهاجرين والأنصار لم يقيد حالهم بالإحسان لأنهم محسنون بطبيعة الحال. فاشترط فيمن يأتي بعدهم الإحسان ولم يشترطه في الصحابة إشارة إلى أنهم بطبيعة الحال محسنون رضي الله عنهم.

١٠- ضمن الله لهم أن لا يخزيهم يوم القيامة:

في هذا اليوم العظيم الذي يغرق فيه أكثر الناس في خزي شديد حتى إن الخليل إبراهيم استعاذ بالله تعالى من خزي يوم القيامة لعلمه بشدته وخطره فقال: ﴿ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴾ [الشعراء:٨٧].

في هذا اليوم الذي تعظم فيه الحسرات، وتندهش العقول، وترتجف القلوب، وتخرس فيه الألسنة، وتتزلزل فيه الأفئدة.

في هذا اليوم تنطلق الألسنة المؤمنة بالدعاء الذي يلهمهم به ربهم من لطفه بهم ورحمته لهم قال الله جل جلاله: ﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم:٨]

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ: وهم في رهبة هذا الموقف وشدته يلهمون الدعاء الصالح بين يدي الله يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآ﴾ [التحريم: ٨].

وإلهامهم الدعاء في هذا الموقف الذي يلجم الألسنة ويسقط القلوب هو علامة الاستجابة فما يلهم الله المؤمنين هذا الدعاء إلا وقد جرى قدره بأنه سيستجيب(١).

وقال الإمام الآجري بعد ذكر العشرة المبشرين بالجنة قال: رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة الذين ضمن الله لهم في كتابه أن لا يخزيهم وأن يتم لهم نورهم يوم القيامة ويغفر لهم(٢).

١١- الصحابة هم خير الناس للناس:

خير الناس أنفعهم للناس وأنصحهم وأرحمهم وأوفاهم، وما عرفت الدنيا أبر وأوفى وأرحم بالناس من أصحاب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد وصفهم ربهم بهذه الخيرية في محكم آياته إذ هم المخاطبون ابتداءً بهذا القرآن العظيم قال الله جل وعلا: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: **قال الزجَّاج**: وأصل الخطاب لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يعم سائر أمته(٣).

وروى الإمام البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنتم خير أمة أخرجت للناس»

---

(1) «الظلال» [٦/ ٣٦١٨].

(2) «الشريعة» [٢/ ٤٢٥].

(3) «زاد المسير» [١/ ٣٥٥] ط. دار الكتب العلمية.

قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**إنكم متمُّون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»(٢). والخطاب موجه إلى السادة الأصحاب النبلاء الكرام رضي الله عنهم ثم هو موجه إلى من بعدهم ممن اقتفى أثرهم.

١٢- وجود الصحابة أمنة للأمة:

عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فقلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**مازلتم ها هنا؟**» قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء قال: «**أحسنتم أو أصبتم**» قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «**النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**»(٣). قال النووي: معناه ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم.

قلت: وكأني أفهم من هذا الحديث أن وجود هدى الصحابة وأخلاقهم ومنهجهم بين أبناء الأمة أمنة لها، وأن ذهاب هديهم وغيابه واندثار أخلاقهم من بين

(1) رواه البخاري برقم [٤٥٥٧]، وانظر: «الفتح» [٨/ ٧٢].

(2) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الحافظ في «الفتح» [٨/ ٧٣] وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» برقم [٢٣٠١].

(3) رواه مسلم برقم [٢٥٣١] وأحمد [٤/ ٣٩٨].

أبناء الأمة فإن هذا علامة الذل والضعف والهوان، والتشرذم والتنازع والتبعية والانهزامية. لذلك فإن أول سبيل لعزة هذه الأمة وخروجها من هذا الحضيض الذي وصلت إليه أنه لا بد من إعادة منهج الصحابة في واقع حياتنا، لا بد من السير على دربهم في العقيدة والعمل والعبادة والأخلاق. ولن تخرج الأمة من كبوتها إلا بذلك. إننا لسنا أمة تائهة تبحث عن سبيل لنهضتها فلا تجد. كلا فعندنا السبيل واضحٌ وضوح الشمس في ضحاها وهو القرآن والسنة بفهم الصحابة رضوان الله عليهم.

فإذا استقمنا على القرآن والسنة هيأ الله لنا أسباب العزة والتمكين على العالمين.

والبداية منك أنت ومني أنا فليست الأمة إلا مجموعة أفراد إذا بدأتَ في إصلاح نفسك وربيتها على الإسلام ودعوت إلى هذا من حولك فإن هذا سبيل لرفعة الأمة فعليك البداية ومن الله التوفيق والسداد والإتمام.

١٣- المباركون الصالحون الخيرون هم الصحابة:

والبركة معناها ثبوت الخير ودوامه، وقد تحققت هذه البركة في حياة الصحابة أينما حلوا ورحلوا، فأينما وُجد الصحابة وجد العلم والفقه والتقوى والصلاح. أينما وُجد الصحابة وجدت الدعوة، والقدوة الواقعية التي ينجذب الناس إلى محاكاتها والتأسي بها، فتنبت الأرض من حولهم بأصدق الأعمال وأبر القيم والأخلاق.

كان الصحابي الواحد كأنه أمة إذا سكن بلدًا بزغت فيها أنوار الهداية وتلألأت فيها أضواء الطاعة والعبادة وآتت أكلها كل حين بإذن ربها.

تأمل هذا الحديث الجليل الجميل:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يأتي على**

الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب رسول الله؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم.ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم»(١).

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ : «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن رأى من رآني، ولمن رآى من رآى من رآنى وآمن بي طوبى لهم وحسن مآب**»(٣).

١٤- الله يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم:

من تمام فضل الله لهم أنه يغضب على من يغضبون ويرضى عمن يرضون عنه، فإذا غضبوا غضب ربهم لغضبهم عن عائذ بن عمرو رضي الله عنه أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. قال أبو بكر: تقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟! فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» فأتاهم

---

(1) رواه البخاري برقم [٣٣٧٦].

(2) رواه ابن أبي شيبة وقال الحافظ في الفتح: إسناد حسن

(3) رواه الطبراني والحاكم وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٢٥٤].

أبو بكر فقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي[١].

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وجبت**» ثم مروا بجنازة أخرى فأثنوا عليها شرًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**وجبت**» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «**هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًا فوجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض**»[٢].

فالصحابة هم شهداء الله في الأرض ومن أغضبهم فقد أغضب الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا من تمام تكريم الله لهم.

١٥- حب الصحابة دين وإيمان، وبغضهم كفر ونفاق وعصيان:

حب الصحابة من شعائر الدين؛ لأنهم هم حملة الدين وهم الذي نقلوه إلينا وفضلهم بعد الله ورسوله علينا عظيم، فمن علامة الإيمان حبهم ومن علامات النفاق بغضهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار**»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من أحب الأنصار أحبه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله**»[٤].

---

(1) رواه مسلم رقم [٢٥٠٤].

(2) رواه البخاري [١٣٦٧]، ومسلم [٩٤٩].

(3) رواه البخاري [١٧]، ومسلم برقم [٧٤].

(4) رواه البخاري رقم [٣٧٨٣]، ومسلم رقم [٧٥].

obeikandl.com

والأنصار هم أهل المدينة من أصحاب رسول الله ﷺ والمهاجرون أفضل من الأنصار لأن الله تعالى قدمهم في الذكر والرتبة والخلافة عليهم، وكلهم أصحاب النبي الذين آزروه ونصروه فمن أبغضهم أبغضه الله، ومن آذاهم فقد غضب الله عليه. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**لا يبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر**»(١).

قال الحافظ ابن حجر: وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من إيواء النبي ﷺ ومن معه والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم فكان صنيعهم ذلك موجبًا لمعاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم والعداوة تجر البغض، ثم كان ما اختصوا به موجبًا للحسد والحسد يجر البغض فلهذا جاء التحذير من بغضهم والترغيب في حبهم حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق تنويهًا على فضلهم وتنبيهًا على كريم فعلهم(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه**»(٣).

قال الإمام الآجري رحمه الله: من صفة من أراد الله عَزَّ وَجَلَّ به خيرًا وسلم له دينه، ونفعه الله الكريم بالعلم المحبة لجميع الصحابة ولأهل بيت رسول الله ﷺ

(1) رواه مسلم برقم [٧٦].

(2) «فتح الباري» للحافظ ابن حجر [١/ ٨١] ط. دار الريان.

(3) رواه أحمد في المسند [٤/ ٨٧]، رواه الترمذي [٣٨٦٢] وحسنه محقق المسند.

ولأزواج رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، ولا يخرج بفعل ولا بقول عن مذاهبهم ولا يرغب عن طريقهم(١).

١٦- الصحابة أنضر الناس وجوهًا وأزكاهم نفوسًا:

لقد دعا رسول الله ﷺ لمن حفظ حديثه وبلَّغه بنضارة الوجه فقال ﷺ: «**نضر الله امرءًا سمع منا حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»(٢).

وإن أحق الناس بنضارة الوجوه هم أصحاب رسول الله فهم الذين نقلوا إلينا الدين كله وبلغوه، وعلموا القرآن والسنة للخلق. وكل من جاء بعدهم إنما هو في ميزان حسناتهم فهم أئمة الدعاة، وقدوة المتقين وقد قال رسول الله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا**»(٣).

ولقد أخذوا القرآن غضًا طريًا من فم رسول الله، ثم عاشوا مع الرسول يسمعون هديه ويرون بأعينهم أخلاقه فزكت نفوسهم بنور القرآن والسنة كما قال ربنا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

---

(1) الشريعة للآجري [٢/ ٤٢٤] ط. قرطبة.

(2) رواه الترمذي [٢٦٥٧] وقال: صحيح، وصححه الألباني في «المشكاة» [٢٣٠].

(3) رواه مسلم برقم [٢٦٧٤].

فالذي رباهم وعلمهم وأدبهم هو أعظم مربٍّ، عرفته الدنيا وهو رسول الله ﷺ، ومعلوم أن المرء يتأثر بالجو الإيماني المحيط به ألم تر كيف دل العالم قاتل المائة على أن يخرج من أرضه لأنها أرض سوء حيث لم يزجره أهلها عن منكره ولم يغيروا منه هذا الجبروت وقال له العالم الموفَّق: «وانطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسًا صالحين فاعبد الله معهم» فالحياة بين الصالحين مدعاة لزكاة النفس وعلو الهمة في الطاعة والعبادة وها هو موسى ﷺ يعلمنا ذلك فيقول كما ذكر الله تعالى عنه: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٢٩-٣٤].

فكيف إذًا بمن عاشوا مع صاحب أعظم همة وأزكى نفس وأطهر قلب، وأعلم البشر ذلكم رسول الله ﷺ ؟! إن مجرد مخالطتهم لرسول الله موجبٌ لسبقهم في الفضل على كل من سواهم فرضي الله عنهم وأرضاهم.

١٧- هم أعظم الناس صبرًا وتوكلًا على الله:

قال الله جل جلاله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٤]

قال شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: يعني بذلك جل ثناؤه «وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم، وإنما عنى الله - تعالى ذكره - بذلك الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو أبي سفيان ومن معه من مشركي قريش مُنْصَرفَهم من أحد،

وذلك أن أبا سفيان لما انصرف من أحد خرج رسول الله ﷺ في أثره حتى بلغ حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس أن به وأصحابه قوة»[(١)].

ثم قال: «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم» أي: الرجال للقائكم والكَرَّة إليكم لحربكم «فاخشوهم» أي: فاحذروهم واتقوا لقاءهم فإنه لا طاقة لكم بهم «فزادهم إيمانًا» أي: فزادهم ذلك التخويف يقينًا إلى يقينهم وتصديقًا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمر رسول الله ﷺ بالسير فيه. ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه وقالوا ثقة بالله وتوكلًا عليه إذ خَوَّفهم من خَوَّفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين.

«وحسبنا الله ونعم الوكيل» أي: يكفينا الله وهو نعم المولى لمن وليه وكفله[(٢)].

١٨- الصحابة كلهم عدولٌ أخيار:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

والخطاب موجه إلى الصحابة الكرام وقد فسر النبي ﷺ الوسط بأنهم عدول روى الطبري بسندٍ صحيح عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]، قال: «**عدولًا**»[(٣)] قال الحافظ ابن كثير في التفسير: والوسط ها هنا الخيار الأجود كما يقال: قريش أوسط العرب نسبًا

---

(1) تفسير الطبري [٣/ ١٨-٢٠].

(2) تفسير الطبري [٣/ ١٨-٢٠].

(3) رواه الطبري [٢/ ٩] وصححه شيخنا العدوي في تفسير سورة البقرة [٢/ ٣٦٥].

ودارًا أي: خيرها، وكان رسول الله ﷺ وسطًا في قومه أي: أشرفهم نسبًا، ومنه الصلاة الوسطى التي هي أفضل الصلوات وهى العصر كما ثبت في الصحاح وغيرها.

ولما جعل الله هذه الأمة وسطًا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب(١). بل قد ثبت في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ فسَّر الوسط فقال: «**العدل**»(٢). يقول عثمان الخميس في كتابه: «حقبة من التاريخ» [ص:١٦٠]: من الأمور التي تدل على عدالة أصحاب النبي ﷺ بشكل مجمل وعام ما قام به أهل العلم من تمحيص الروايات التي رواها أصحاب النبي ﷺ فما وجدوا صحابيًا كذب كذبة واحدة على النبي ﷺ، بل مع انتشار البدع في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم كبدعة القدرية والشيعة والخوارج لم يكن صحابي واحد في أولئك القوم أبدًا وهذا دليل على أن الله اصطفاهم واختارهم لصحبة نبيه ﷺ (٣).

١٩- الصحابة هم أهل التقوى:

قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦].

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦]، فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل

(1) «تفسير القرآن العظيم» [١/ ١٠٩] ط. دار الحديث.

(2) رواه البخاري برقم [٤٤٨٧].

(3) حقبة من التاريخ لعثمان الخميسي [ص:١٦٠].

صبروا لحكم الله، والتزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمات الله ولو كانت ما كانت، ولم يبالوا بقول القائلين، ولا لوم اللائمين.

وألزمهم كلمة التقوى «وهي لا إله إلا الله» وحقوقها وألزمهم القيام بها فالتزموها وقاموا بها وكانوا أحق بها وأهلها الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم وما في قلوبهم من الخير[1].

٢٠- هم أنصار الله ورسوله وحماة الدين وحملته:

قال الله تعالى في وصف المهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

و قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

أولئك الصحابة الكرام الذين نصروا رسول الله وعظَّموه ووقروه حتى أعز الله بهم دينه فهم أحق الناس بالفلاح والفوز بجنة الله ورضوانه قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذا شاهد واحد من مشاهدهم وموقف من مواقفهم ينبي عما عداه ويشير إلى ما سواه وينطق بصدق التضحية، وحب الإسلام، ويوحي بعظمة هذا الدين في هذه النفوس الزكية والقلوب النقية رضوان الله عليهم، وهذا الموقف من بدر حيث استشار رسول الله ﷺ أصحابه في القتال حيث إنهم لم يخرجوا لقتال ولم يتجهزوا له، وما خرج معه إلا نفر غير كثير من أصحابه.

---

(1) «تيسير الكريم الرحمن» [٧٩٥] ط. أولي النهى.

استشار النبي الصحابة فقام أبو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن الاسود فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله ما نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن اذهب أنت ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، عن يمينك وشمالك، وبين يديك وخلفك، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه

فقال له الرسول ﷺ خيرًا ودعا له. ثم قال: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**» وإنما يريد الأنصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وأنهم حين بايعوه قالوا: إنا برءاء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا. فكان رسول الله ﷺ يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه من المدينة فلما قال ذلك قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «**أجل**» فقال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصُبرٌ في الحرب، صُدُقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فِسرْ بنا على بركة الله.

وفي رواية قال: لعلك تكون خرجت لأمر فأحدث الله لك غيره فانظر الذي أحدث الله إليك فامض، فصِل حِبالَ مَنْ شئت، واقْطَع حِبالَ من شئت، وعادِ من شئت، وسالِم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت.

فُسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه، ثم قال: «**سيروا وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**»(١).

٢١- حرمتهم أعظم الحرمات بعد حرمة الأنبياء:

للصحابة في الإسلام حرمة عظيمة هي من أعظم الحرمات فلهم أولًا حرمة المسلم على المسلم كما قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**»(٢).

ثم هم يمتازون على غيرهم بحق الصحبة للرسول والسبق إلى الإسلام لذلك قال الرسول ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيْفَه**»(٣).

وقال ﷺ: «**من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا**»(٥).

---

(1) أخرجه ابن هشام في السيرة [١/ ٦١٤]، بإسناد صحيح، وأخرجه الطبراني بإسناد حسن كما في المجمع [٦/ ٧٣] قاله إبراهيم العلي في السيرة النبوية الصحيحة. وقال الألباني في رواية الطبراني: قال الهيثمي [٦/ ٧٤]: إسناد حسن انظر هامش فقه السيرة للغزالي [ص:٢٣٥] ط. دار الريان.

(2) رواه مسلم برقم [٢٥٦٤].

(3) رواه البخاري برقم [٣٦٧٣]، ومسلم برقم [٢٥٤٠].

(4) رواه ابن عدى [٥/ ٢١٢] وغيره وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» [٦٢٨٥].

(5) رواه أبو النعيم في « الحلية» [٤/ ١٠٨] وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم [٣٤].

obeikandl.com

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال العلماء: من ذم أصحاب رسول الله ﷺ بشيءٍ وتتبع عثراتهم وذكر عيبًا وأضافه إليهم كان منافقًا، بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله، وحب ما جاء به، وحب من يقوم بأمره، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم؛ لأن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله قال أيوب السختياني: من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًا فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برىء من النفاق[1].

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يحل لأحد أن يسب الصحابة على العموم ولا أن يسب واحدًا منهم على الخصوص؛ فإن من سبهم على العموم كان كافرًا بل لا شك في كفر من شك في كفره؛ أما من سب واحدًا منهم على سبيل الخصوص فينظر في الباعث لذلك فقد يسبهم من أجل أشياء خُلُقية أو خِلقية أو دينية ولكل واحدٍ من ذلك حكمه[2].

ويقول الإمام الذهبي - عليه رحمة ربنا العلي-: فحبُّ أصحاب النبي ﷺ عنوان محبته، وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح: «**حب الأنصار من الإيمان، وبغضهم من النفاق**»[3]. وما ذلك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ وكذلك حب على رضي الله عنه من الإيمان

(1) «الكبائر» للإمام الذهبي [ص:٣٩٧] بشرح ابن عثيمين ط. دار الغد.
(2) شرح كتاب «الكبائر» [٣٩٦] لابن عثيمين ط. دار الغد الجديد.
(3) رواه البخاري رقم [٣٧٨٤]، مسلم برقم [٧٤].

وبغضه من النفاق، وإنما يعرف فضائل الصحابة من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار، ونشر الدين، وإظهار شعائر الإسلام، وإعلاء كلمة الله ورسوله، وتعليم فرائضه وسننه، ولولا هم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئًا، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين، ومرق من ملة المسلمين، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى من ثنائه عليهم وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم، وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول. هذا ظاهرٌ لمن تدبره وسلم من النفاق ومن الزندقة والإلحاد في عقيدته(١).

قال الربيع: قال لي الشافعي: «يا ربيع، اقبل مني ثلاثة: لا تخوضن في أصحاب رسول الله ﷺ فإن خصمك رسول الله ﷺ غدًا، ولا تشتغل بالكلام فإني اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم»(٢).

وقال الإمام مالك عن هؤلاء الذين يسبون الصحابة: «إنما هؤلاء قوم أرادوا القَدْح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك فقدحوا في أصحابه حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلًا صالحًا لكان له أصحاب صالحون» «الصارم المسلول [ص:٥٨٠]».

---

(1) «الكبائر للذهبي» [ص:٣٩٥-٣٩٦] بشرح العثيمين.

(2) «سير أعلام النبلاء» [١٠/ ٢٨].

يقول الحافظ أبو نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم في حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه».

ويقول أيضًا: «ولا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين». «الإمامة لأبي نعيم [ص:٣٤٢-٣٧٦]».

فالصحابة الكرام أثنى عليهم ربهم في محكم قرآنه، وأثنى عليهم رسول الله في صحيح سنته فمن كذَّب الله ورسوله وخالف حكم الله وحكم رسوله فهو المهان الذليل المستحق لكل ذم وعيب. فالطعن فيه أولى والذم فيه أحق فهؤلاء الصحابة قد عدلهم ربهم ونبيهم فمن ذا الذي عدل هذا الزنيم الأثيم الذي يريد أن يتطاول على القمم الشامخة وأصولنا الراسخة. فهم مفخرتنا وأصلنا ولا وجود لفرع بلا أصل، ولا حاضر لأمة بلا ماضٍ مشرق مجيد، وليس على وجه الأرض أمة أحق بذلك من أمة الإسلام؛ لأن ماضيها هو نبع عزتها وكرامتها وسيادتها.

٢٢- أمر الرسول بمشاورتهم فهم أهل الفضل والشورى:

من تكريم الله للصحابة الكرام أن جعلهم ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هم خاصة الرسول وجلساؤه وأهل مشورته فهم أصحاب العقول الراجحة والقلوب الناصحة، وهم أئمة العلماء المتقين، وسادة العباد الزاهدين قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

تأمل هذه الآية جيدًا لترى كرامة عجيبة ومنقبة فريدة للصحابة الكرام فالله - جل جلاله- يأمر رسوله ﷺ بالعفو عن الصحابة والاستغفار لهم، بل ومشاورتهم في الأمور. فيالها من تزكية!! وقد شاورهم رسول الله ﷺ يوم

بدر ويوم أحد ويوم الحديبية وفي حادثة الإفك ترى رسول الله في هذه المواقف وغيرها يقول لهم «**أشيروا عليَّ أيها الناس**» وكذلك تلمح أمرًا ربانيًا لرسول الله ﷺ بالتواضع وخفض الجناح لهم فقال ربنا جل وعلا: ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

فياله من نفل ويالها من مكانة وكرامة!! فمن ذا الذي يزعم لنفسه أو لهزيل مثله منقبة كهذه أو تدانيها؟! نعوذ بالله من الضلال والعمى والجهل والرَّدى.

٢٣- نالوا دعاء الرسول لهم ورضاه عنهم:

من كرامة الله سبحانه لهؤلاء الصحابة الكرام دعاء سيد الخلق رسول الله ﷺ لهم وحبه إياهم ورضاه عنهم كما ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة**»(١).

وفي لفظ لمسلم: «**اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة**» وفي لفظ آخر لمسلم «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فأكرم الأنصار والمهاجرة**» وفي لفظ: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار**»(٢).

وخص الرسول ﷺ الأنصار بدعاءٍ بديع عجيب جميل كما روى مسلم والترمذي عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار**»(٣).

---

(1) رواه البخاري برقم [٦٤١٣]، ومسلم برقم [١٨٠٥].

(2) رواه البخاري برقم [٤٠٩٨]، ومسلم برقم [١٨٠٤].

(3) رواه مسلم برقم [٢٥٠٦]، والترمذي برقم [٣٩٠٢].

obeikandi.com

وقال الرسول ﷺ لطائفة من الأنصار: «**اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ، اللهم أنتم من أحب الناس إليَّ**» يعني الأنصار(١).

وفي حديث آخر «**والذي نفسي بيده! إنكم لأحب الناس إليَّ**»(٢).

ومن دعاء الرسول ﷺ للصحابة عندما عاد سعدًا رضي الله عنه فقال: «**اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم**»(٣).

ثم ها هو ﷺ يودع أصحابه وهو راضٍ عنهم في آخر أيام حياته حتى يلتقي بهم على حوضه وفي جنات الله عَزَّ وَجَلَّ، نظر إليهم وهو يرى ثمرة جهاده وكفاحه متمثلة في هذا الحشد العظيم الذين اجتمعوا في صلاة الصبح بعد صفحات من البذل فمنهم من قطعت أصابعه، ومنهم من امتلأ جسده بآثار الجراح في سبيل الله، ومنهم من فقد أباه وأولاده أو ماله كل ذلك في سبيل الله، وإذا كل واحد منهم أمة بأسرها في البذل والتضحية والفداء نظر إليهم رسول الله وفرح باجتماعهم على طاعة ربهم وها هو المشهد الذي يترجم هذا المعنى كما روى البخاري من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن المسلمين بينا هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسَّم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهمَّ المسلمون أن

(1) رواه مسلم برقم [٢٥٠٨].

(2) رواه البخاري برقم [٣٧٨٦] ومسلم برقم [٢٥٠٩].

(3) رواه البخاري برقم [١٢٩٥] ومسلم برقم [١٦٢٨].

obeikandl.com

يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ الله ﷺ : «**أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر**»(١).

أيها الإخوة الأحبة: هذه بعض فضائل الصحابة الكرام ومهما ذكرنا من مناقب فلا يعلم قدرهم إلا الذي خلقهم جل جلاله. ولكن قل لي بربك: هل تعلم في تاريخ الدنيا طائفة من الناس حازت من المناقب مثل ما ذكرنا؟!

هل هناك في تاريخ الدنيا جيلًا كهذا الجيل؟! إننا نجزم أنه لم يكن بعد الأنبياء والرسل أفضل من أولئك الأخيارفهم حزب الله المفلحون وأولياؤه المتقون كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث الواضحات فهل بعد هذا البيان والبرهان نحتاج إلى قول إنسان؟!

لقد كرمهم ربهم بهذه الفضائل وحرسهم من القصور والرذائل، وأثنى عليهم بنفسه ولم يترك كلمة قائل.

فرضي الله عنهم

من معشر كانوا الأئمة للورى ... فاقوا البرية سيِّدًا ومسوَّدا

فإذا سخوا كان البحار وإن سطوا ... كانوا الأسود أو الشراة الصيَّدا

ولله در القائل:

الصحبُ إن نطقوا أصغى الزمان لهم ... والصحب إن أقدموا فالمجد ينتظرُ

سبائك الدهر من أغلى معادنه ... كأنهم معدنٌ في الدهر مبتكرُ

---

(1) رواه البخاري برقم [٤٤٤٨].

قد أسرجوا النجم خيلًا في مراحلهم إلى العلا وهم من تاريخهم صورُ

فالبحر إن وهبوا والنار إن غضبوا والعدل إن ملكوا والعفو إن قدروا

هم الليوث نضالًا والغيوث ندىً والممطرون إذا ما سوف المطرُ

إذا قضوا فقضاء الغيب حكمتهم وإن مضوا للمعاني ترجم القدرُ

هم الصحابة في العلياء معجزة ينشق من صبحها في ليله القمرُ

مجد الصحابة في العلياء قد نطقت به المعالم والأوضاح والغررُ

حي الصحابة وانظم في مآثرهم ما قصرت عنه في أصدافها الدررُ

رضي الله عن الصحابة الكرام

وجمعنا بهم في دار السلام إنه ولي ذلك ومولاه

وهو على كل شيء قدير.

obeikandl.com